الدين في نظر العقل الصحيح

﴿ المقالة الثانية ـ لصاحب الامضاء ﴾

النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص يصطفيه من بين خلقه ، معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين الاخيار من الاقوام ، بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه ، وفائدتها تقدم العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضمائر الخلق وما تكنه صدورهم بسبب ما توجبه من الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفاً ، إذاً الغرض الاكبر من النبوة حمل الناس على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والدنيوية إصلاحا لا يصلون إليه بأنفسهم ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها ، هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال الاكبر للانبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه المقام ، إيضاحا لما أجملته فيما مر من الكلام ، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك الوقت ثم أحواله عليه السلام وما أتى به من الاصلاح في الارض ولذا أبدأ الآن بوصف حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ، وتعددت الاهواء ، وعبد كل ما شاء الشيطان من الاباطيل ، عم السجود للاوثان ، وعبدت الصور والصلبان ، واعتقد الناس الالوهية في التماثيل ، خاط الخلق في شأن اللاهوت ، وتوهموا ظهوره في الناسوت ، فاتخذ البشر آلهة من دون واجب الوجود ، سهل على الناس اعتقاد السلطة في بعض الافراد ، وظنوا ان بيدهم الاشقاء والاسعاد ، فابوا عقلهم ، واعملوا شأنهم ، فطغى اولئك وبغوا ، وافتروا ما شاءوا من الاحكام ، وقالوا لما تصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، اصبح الناس عبيداً اذلاء ، في جهالة عمياء ،

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية، وتفانوا في الحصول على لذاتهم البهيمية، واختلفوا لأتفه الأسباب من المسائل الدينية فريسة للمشاجرات والمناحكات. فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين، فأثار كل رئيس من تحت يده من المرءوسين، واشهروا الحرب على الآخرين فأريقت دماء الملايين.

هذا كان حال الأمم في كل بقعة من الأرض وفي بلاد العرب أدهى وأمرهم الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الأخلاق في سائر الآفاق

ليس ما ذكر تخيلات شعرية، ولا افتكار وهمية، بل هي حقائق تاريخية، اتفق عليها أهل العلم، ولم يشذ عنهم فردفهم.

ظهر في هذا الوسط الجاهلي والظلام الحالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي النبي الأمي، ونشأ يتيما فقيرا لا أب له يهذبه ويربيه ولا معلم يرشده ويهديه

قد يزعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ما يساق على صحته من قوة البرهان ولكنه وهم زيله بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الأعظم من أمته كان اميا لا يقرأ قليلا فاذا أضفنا إلى ذلك يتمه وفقره وأميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ أولى له أن يسعى على عيشه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يعرفه الا القليل من جاوره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمها لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لابد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الأشهاد ولم يوجد من يعارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون)

(٣) لم يعهد عنه أنه كان يعاشر أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي إلى تقديمه على أصحابه ولا ظهر له احتراماً زائداً ولقام المعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يتعلم فيبعد جداً أن

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة .

(٦) لو كان ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة لاقصد دعوى النبوة لاظهر افتخاره بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعداؤه حيلا فانها تغيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على مر الازمان فكيف يتأتى لواحد من محمد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهلا ولا يفتضح أمره مرة واحدة إن ذلك لبهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليتم والفقر والجهل والامية والاوهام والضلال والوثنية ، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات ، والتف حوله عشيرته الفارقة في بحر من الخرافات والترهات ، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟؟ لم يكن له ذلك التأثير المعهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه ، بغضت اليه الوثنية في مبدأ أمره ، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط أو اشتغل بعبود مع أهله ، كانوا يشربون حولها الخمور ، ويغمسون في الشهوات والفجور ، وهو بمعزل عنهم منكر عليهم ، كانوا يشتغلون بالتافه من الامور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم ، كانوا يقومون ويقعدون ، ويتفانون ويقتلون لقصيدة أو بيت شعر وهو لا يحفل بذلك ولا يجاريهم عليه . ماذا كانت حاله اذاً ؟؟ لجد والاستقامة دأبه ، والصدق والامانة طبعه ، حتى عرف بين أهل مكة بالامين وهو في ريعان شبابه ، ينهمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج المرأة ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمع عنه أنه ارتكب منكراً في زمن شبابه أو علق بحب فتاة أو مال الى عشقها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك . ماذا كان شغله اذاً ؟؟ كان شغله رعي الاغنام ثم التجارة ثم التعبد في الخلاء والتحنث بغار حراء لله تعالى

فلما بلغ الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الحق وقرر ان للعالم إلهاً واحداً وبرأ من كل ما ينسبونه اليه مما لا يليق به وأثبت ذلك بالحجج البينات أمر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات ، اطلق للناس الحرية الصحيحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين اولأي احد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء الا اليه مباشرة وامرهم بالاستعانة به وحده واعطى الروح والبدن ما يطلبانه بشرط ان لا يضرهما ولم يحث على المبالغة في الزهد ولا الرهبانية بل امر بالسعي والتعمل وتعريض الاعضاء فيما خلقت لاجله مع مراعاة ان لا يضر ذلك بالمرء او بغيره واباح الطيبات وحرم الخبائث وامر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بالتي هي احسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الاكراه في الدين واوجب تأمين الراغبين في النظر فيه ولو وقت الحرب وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون الى غير ذلك مما لم تهتد اليه الناس في الغرب الا بعد ان وصل اليهم شعاع من نور الاسلام في الشرق فارجع البصر الى تاريخ اوروبا قبل الاصلاح الديني بلوثر وقبل الاصلاح السياسي بالثورة الفرنسارية لتعرف ما كانوا عليه اتى مع ذلك بجميع الاخلاق الفاضلة المعتدلة والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادىء السليمة والسياسات القويمة وغيرها مما كان السبب في اصلاح امر الانسان وتحريره من العبودية واتقاذ العقل من الاسر ورده الى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سريعة عالية لم يعهد لها مثيل في التاريخ ثم امتدت الى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمي وهذه هي اعماله فبأذا يجيب الضالون ؟

زعم بعضهم بعد أن سلم بأميته أنه لا بد أن يكون تلقى ما أتى به من أحد الناس بالمشافهة فنجيب بأن ذلك التلقي لا يخلو إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها

فان كان قبل النبوة فاما ان يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الاولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه وسنه والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كلتيهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين معه يتلقى العلم عن أحد ولم يغب عن قومه الا مدة التجارة والا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا له لقد تعلمت هذا مدة غيابك هنا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة وهي التعلم من الناس وأيضاً فأي حامل يحمل هذا الفقير الذي نشأ هذا المنشأ الذي بيناه ولم يوجد من ينبهه ويرشد فكره لفضيلة العلم حتى يترك ما يقتات به وهو في تلك البلاد

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعثة إليها ويجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من امته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما يخالف معتقد آبائه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لا يمكنه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولا أن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على الجهاد نفسه وصرف وقته في تعليم هذا الغريب الامي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يختار احداً من اشهر بشر او بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال او غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الامي كل هذا التهذيب وان يخرجه من عقائد آبائه واجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة والوحي والتنزيه والتوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدراً علماً حكيماً ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشتهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متمسكاً بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والمبادئ وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احد بأنه يعلم محمداً ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكتمها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمداً يحترم أحداً قبل نبوته اكثر من غيره او يلوذ به

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) اي شيء ألزمه الصبر اربعين سنة ولم يجعله يسارع الى دعوى النبوة ولم لم يبادر الى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة . وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الامي الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة لشيء مطلقا خوفا من ان يطلع عليها احد وهي معه . شأن الذي يريد ان يدعي شيئاً مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرته ثم يجرأ فيزداد شيئاً فشيئاً الى ان يمكث اربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بعزيمة واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه الفكرة لم تأخذ بلبه ومشاعره فتجعله مشتغلا بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهرا ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستعد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الاهواء في عزلته المنوية . عادة المفسرين ان تأخذ مثل هذه النيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائما في انشغال بال ولكن الذي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانهك الفكر بدنه وصار سقيما وكلت قواه العقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقيها فتضعف عن ان تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهية والالهامات الربانية . وكيف علم انه لن ينقضي اجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويأمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان التعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(١) فكيف ابتدأ دعواه على جهله وأي منبه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم يشاهد مرة يلجأ الى أحد الناس ليتعلم منه

(٣) لم لم يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة ولم بقي معلمه مرؤوسا له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً الوجه السابق)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من أن يتلقى العلم عنه ويخضع لامره وينتهي بنهيه فأين كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه . هذا ولم يعرف أحد بينهم ممتازا بعلم

سوى ما أخذه باقراره جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فان كان هذا العلم موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالعلم والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى يجله ويحترمه احتراما لمحمد وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا فيالله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتلق العلم عن أحد شفاهياً فكيف أتى بما أتى وكيف حمل ما حمل ؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجار العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفنن فيه العرب ولم يشتهر بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في مشهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتمعاتهم وافتخارهم بشعرهم ونظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة وكيف أتى بهذا الاسلوب المعجز واخترعه وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة ان الانسان يتدرج في الشيء فيكون آخر ما يأتي به أحسن مما ابتدأ بانشائه وكيف يكون الكل معجزاً مع أن المعتاد من البلغاء أن يكون بعض كلامهم في مشهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك . كيف لم تجد العرب إعجازاً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عنايته بانشاء أحدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقيه من أول وهلة . كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتمعين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها فاهذه الحجج الملجمات وماهذه البراهين المفحمات ؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليه . أحباء ما ألفوا أعداء لما دعوا اليه . فسفه آراءهم . ونكس أصنامهم . ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقى مما يثبط الهمم ويذهب بالعزائم لولا ثبته في أمره وجزمه بالظفر والنجاح . فنجا من جميع الشراك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسلم من الدسائس التي كانت تحدق به والتربصات لقتله غيلة التي كانت تكيد عليه ووعد أصحابه بالنصر والفتح والتمكين في الارض والخلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من المغيبات . فحققت نبوته وصح اخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع انهم كانوا في حالة

لا يرجى معها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا النظاميين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يتأتى له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست عليهم كثيرا حتى يبت الحكم فيها فلولا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيغلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم افتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا صحت قراءة من قرأ سيغلبون بالبناء للمجهول اي إن المسلمين تغلبهم ففيها ايضاً الاخبار بالغيب لو لم يقع لظهر كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة واحدة واتحدوا على محو ذكره من الوجود انتقاماً فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاماً وكفى الله المؤمنين القتال. فاكل هذه المصادفات اتضح ما يقول الواهمون الذين يتمحكون بهذه التاويلات الفارغة ويتمسكون بالتعليلات الباردة. سمعت من بعضهم بعد ان ادحضت هذا الدليل بان النبي لم يتكلم من رأسه بخصوص قولا يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو انما كان يسمع الذي ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما اتى به وانه كان يصيد معلوماته ممن جاوره من النصارى واليهود باستراق السمع منهم فاقول له مهلا ايها المعجب بتفسيراته المغرور بتعليلاته واستمع لما سأتلوه عليك وانت شهيد، ولا تكن ممن عن الحق يحيد؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدني الحرف كخدمة بعض العرب او الاتجار في بعض اشياء حقيرة. وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في اشد الحاجة الى من يلقنه اياه فهل يسلم العقل ان علم محمد مستفاد من هؤلاء الاشخاص

هب انه كان يصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل ببطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم. لم تنزه كلامه عن اضاليلهم في المسألة اللاهوتية كعقائدهم في المسيح والصلب والتثليث ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يقو فيما فعله فندم بعد ذلك

على ماوقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور . اليس من المعهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجعل كلامهم معتمده فيما يعتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطأهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم ان الشمس وقفت لفلان او رجمت بعض درجات وان الحية لاتأكل إلا التراب مع انها لاتأكل التراب وكالأوهام في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الاخبار مما لايصدق به الا الجهلة من اهل التحريف الى غير ذلك مما كان فاشياً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ماصح من المسائل وما فسد منها حتى انه لايقع في كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف باعتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها العالم عبارة عن مجموع خرافات لامجائز اختلطت بشيء لايخلو من الصحة من بعض الوجوه فما بالك بمحمد الامي والرجل العامي .

ايتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد في اهل الكتاب انهم غاشون ما كرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ايتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق بأقوالهم من أفواه الجهلة منهم ويزعم بعد ذلك أنها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظم عالم من علمائهم بل كان يرميهم بأنهم لايفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلقون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم . فكيف يقول النبي الذي لاينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم ، وكيف لايخاف ان يكذبوا عليه ويفتروه ويوقعوه في الخطأ الذي لايمكنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم مايقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئا ولا أثر لما يقول في الدين لما شاهد ذلك كثيراً في المسلمين وغيرهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون اتباه كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب مايسمعونه من جهلة المسلمين .

هل يمكن للعامي الأمي اذا سمع خليطاً من قصص بني اسرائيل من افواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلا يزيل ما اشتبه على الافهام بحيث لا يدري صحيحها من كذبها أن يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل اهم حوادثهم وذكر اعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب ازمنتها والى بعض البلاد التي وقعت فيها والى موقعها الجغرافي كأن يومئ الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم او تأخير في حوادثها او يخلط فيها مع ان هذا التاريخ اجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب احدى حوادثه الكبيرة؟ تصور حالة عامي من عامة المصريين اذا سمع اقوالا متفرقة متشعبة من افواه بعض جهلة الاوروبيين من تاريخهم فهل يمكن هذا العامي ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما اتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبهم وتاريخ حياتهم وما اتوا به من الاصلاح في بلادهم وينبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الاباطيل التي أحدثها الاوهام بها. قل لي بأبيك هل هذا ممكن؟! يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تعد على أصابع اليد الواحدة ويزعمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتد به. فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صفحة مملوءة بالاوهام والخرافات والخلط في المسائل والخبط من غير اهتداء الى صحيحها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل مجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نهزأ بها ونتعجب من زهاتها وخصوصاً في زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويتفكهون بذكرها ولا نحتاج إلى البحث والتنقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قل أن نجدها في القرآن وإذا وجدناها فانها لا تلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث. فهل

هذا هو ما انتظره في قول العامي المصري الذي ضربناه لك منذ لأم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئاً من ذلك. استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفاسف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادىء الاسلامية ما لم تهتد الناس إليه الا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ـ ١٨٩٦

صادفنا غداة اليوم على مقربة من ليما زنجيا آتيا اليها يلتمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو المثل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشعوذ يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار

كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بنفقة نفسه مصحوباً بصبية زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قولا فسألتها بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تعرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتمى إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدميها قد ورمتا ورما مفرطاً ولما أمعنت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) معرب من باب تربية الناشئ من كتاب اصول القرن التاسع عشر